«من معجزات النبوة»

الحديث التاسع والعشرون:

عن ثَوْبانَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ:

«إنّ الله زوىَ ليَ الأرضَ فرأيْتُ مشارِقَها ومغارِبَها وإن مُلْكَ أُمَّتي سَيَبْلُغُ ما زُوِيَ لي مِنْها، وأُعطيتُ الكَنْزَين: الأحمَرَ، والأبيضَ، وإني سألتُ ربي لأمَّتي ألاّ يُهْلِكَهُم بِسنةٍ عامّةٍ، وألاّ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوى أنفُسِهِم فَيَسْتَبيحَ بيْضَتَهُم وإنّ ربي قالَ لي: يا مُحمّدُ، إني إذا قضيتُ قضاءً فإنَّهُ لا يُرَدُّ، وإني أعْطيتُكَ لأمّتِكَ ألاّ أُهْلِكَهُم بِسنَةٍ عامّةٍ، وألاّ أُسَلِّطَ عليهم عدُوّا مِنْ سِوى أنْفُسَهم فيَسْتبيحَ بَيْضَتَهُم ولَوْ اجتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بِأقْطارِها، حتّى يكُونَ بعضُهم يُهْلِكُ بعضاً، ويَسْبي بعضُهمْ بعضاً».

«رواه مسلم»

الأبحاث العربية:

زوى الأرض: أي جمع الارض وطواها حتى اصبحت مرئية امامه كالبساط المفروش، يحيط بصره بها.. وفي ذلك بشارة من الله عز وجل لرسوله بانتصار الإسلام، وفتح البلدان حتى يعمّ اطراف المعمورة.

مشارقها ومغاربها: جمع مشرق ومغرب، وهو مكان شروقها وغروبها... وإنما جمعت باعتبار ان لكل بلدٍ مشرقاً ومغرباً، أو باعتبار طلوعها وغروبها في الشتاء والصيف..

الكنزين: المراد بهما (الذهب والفضة) لأنهما العملة المستعملة في كل زمان، والكنز هو: ما يكنزه الانسان ويدخره من الاموال قال تعالى

﴿والّذينَ يكْنِزونَ الذَّهبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَها في سَبيلِ الله فبشِّرهُم بعذابٍ أليمٍ﴾ (١).

سنة عامة: أي بقحط وجدب يهلك عامة المسلمين، وذلك بأن تمسك السماء عن المطر فلا تنبت الأرض شيئاً.. وتطلق السنة والسنون على (القحط والجدب) قال تعالى ﴿ولَقَدْ أخذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنين..﴾ (٢) وفي الحديث «اللهمّ اجعلها عليهمْ سنينَ كسني يوسفَ».

يستبيح بيضتهم: أي يستأصلهم بالإهلاك فلا يبقى منهم أحداً، وبيضة الشيء أكثره ومعظمه، ومعنى الحديث: لا يسلّط عليهم عدوهم فيفنيهم ويستأصلهم من الوجود.

يسبي: يقال سباه: إذا استرقه والمعنى: يسترقّ المسلم أخاه المسلم فيجعله كالرقيق عنده.

الأبحاث النحوية:

(إن الله زوى): إن حرف توكيد ونصب، ولفظ الجلالة إسمها، والخبر هو جملة (زوى الأرض).

(إنّ ملك أمتي): إن حرف توكيد ونصب و(ملك) اسمها والخبر هو جملة (سيبلغ).

و (أعطيت الكنزين): أعطيت فعل ماض مبني للمجهول وهو ينصب مفعولين، والتاء نائب فاعل و (الكنزين) مفعول ثان.

(الأحمر والأبيض): الأحمر بدل من الكنزين والأبيض معطوف عليه.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٠.

(حتى يكون بعضهم): حتى حرف غاية ونصب، (يكون) مضارع متصرف من (كان) الناقصة (بعضهم) اسمها وهو مضاف والخبر جملة (يهلك بعضاً).

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله «إن الله زوى» جملة خبرية من الضرب الطلبي لأنها مؤكدة بـ (إنّ) والمراد من الخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة (فائدة الخبر).

٢ ـ قوله «مشارقها ومغاربها» فيه من المحسّنات البديعية ما يسمى بـ «الطباق» وهو من نوع «طباق الايجاب» وهو بين لفظ «المشارق» ولفظ «المغارب».

٣ ـ قوله «الكنزين» فسره بعضهم الذهب والفضة فيكون حقيقة، وفسره بعضهم بأنه «بلاد الروم» و «بلاد الفرس» فيكون كناية وهو «كناية عن موصوف».

٤ ـ قوله «بسنة عامة» كناية عن القحط والجدب فهو «كناية عن صفة».

٥ ـ «يستبيح بيضتهم» كناية عن الاستئصال والإهلاك فهو «كناية عن صفة».

٦ ـ قوله «قضيتُ، قضاءً» فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بجناس «الاشتقاق» وجناس الاشتقاق مثل قول الشاعر:

«فيا دمعُ أنجدني: على ساكني نجد».

ترجمة راوي الحديث:

ثوبان هو مولى رسول الله ﷺ، وهو صحابي مشهور يقال انه من العرب من بني حمير، وقيل من السراة اشتراه النبي ﷺ، ثم اعتقه فخدمه إلى ان مات ثم تحوّل إلى الرملة ثم حمص ومات بها سنة /٥٤/ هجرية، وروى ابن السكن قال: لقيت ثوبان فحدثني ان رسول الله ﷺ دعا لأهله فقلت: انا من اهل البيت، فقال في الثالثة: ما لم تقم على باب او تأت اميراً تسأله، وروى ابو داود عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ: «من يتكفل لي ان لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة». فقال ثوبان، أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً. (الإصابة في معرفة أسماء الصحابة).

الشرح الأدبي:

مع هذه الباقة الجميلة من هدي سيد المرسلين ومع الغرر والدرر التي نطق بها النبي الأمي.. ومن معجزاته الخالدات التي اخبر عنها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، تأتي البشائر تتلوها مواكب النصر لهذا الدين العظيم.. فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يبشر أمته بأن الله عز وجل سيفتح عليهم البلاد، وبأن دينه سينتشر في مشارق الأرض ومغاربها، وأن امته ستملك اكثر المعمورة ويدخل الناس في دين الله افواجاً، وأكرم بهذه البشارة العظيمة التي بشر الرسول الكريم بها أمته!! فما هذه الخيرات، وما هذه الفضائل، إلا من فيض هذا الدين العظيم، ومن بركاته التي لا تنقطع ولا تنضب على مر الأيام ولا تذهب على كرّ السنين، فلقد أكرم الله هذه الأمة فجعلها خير الأمم، وجعل دينها خير الأديان، وأنزل عليها أشرف كتاب، وقال وهو أصدق القائلين: ﴿**كنتم خيرَ أمةٍ أُخْرِجت للنّاسِ تأمُرونَ بالمعروفِ وتنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ، وتُؤْمِنونَ باللهِ**﴾ [1] الآية.

ولقد تحققت بشارة الرسول ﷺ فملك المسلمون مشارق الأرض ومغاربها، ودخل الناس في دين الله افواجاً، ففتحوا البلاد وسادوا العباد، وأوصلوا هذا النور الإلهي الى آفاق العالم، يحملون راية الحق، ويرفعون لواء العدالة، ويرشدون العالم إلى سواء السبيل ويخرجون الناس من الظلمات الى النور. وبصدق هؤلاء المسلمين وباخلاصهم لله ورسوله وبجهادهم وصبرهم وتضحيتهم، كان النصر لدعوة الإسلام وكان الفتح والعزة والسيادة للمسلمين، ولقد بلغت الفتوحات الإسلامية ذروة الكمال، ووصلت قمة المجد، حين اكتسحت اعظم دولتين، واكبر امبراطوريتين، هما دولة (الفرس) ودولة (الروم)... اللتان كانتا تتقاسمان زعامة العالم، وتمدان نفوذهما على أوسع المناطق و أكثر البلاد، وتكاملت البشارة، وتزايدت الفرحة بالقضاء على هاتين الدولتين الكبيرتين العاتيتين، وحلّ الإسلام في ربوعها وتحقّق قول الرسول الأعظم «وأعطيتُ الكنزينِ الأبيضَ والأحمرَ» وما هذان الكنزان الثمينان إلا رمز وإشارة إلى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

تملّك أمة محمد ﷺ لهاتين الدولتين ولإملاكهما حيث كان الذهب هو العملة السائدة في بلاد الروم والفضة هي العملة السائدة في بلاد الفرس.. أفليس في هذا معجزة لمحمد ابن عبد الله الذي أخبر وبشّر بأن أمته ستملك أقاصي الدنيا، وأن أعظم الدول ستدخل في دين الله؟!

وبعد ذلك توجهت رأفة النبي الكريم ورحمته بأمته إلى ان يطلب من ربه ان يحفظ المسلمين من عدوهم فدعا لهم بدعوتين عظيمتين كريمتين.

وأكرم بهما من دعوات صالحات!!

دعا لهم ألا يسلّط عليهم عدواً من غيرهم فيهلكهم، ويستأصل شأفتهم ويجعلهم أثراً بعد عين، ويقضي عليهم القضاء المبرم... كما دعا ربه ألا تهلك امته بالقحط والجدب كما هلك بعضُ الامم السابقين حيث اخذهم الله بسنين عجاف وأهلكهم بالجوع والعطش.

وهذه الدعوات الطاهرات إن دلت على شيء فإنما تدل على كمال شفقته ﷺ على أمته ورحمته بهم... ولا عجب فقد قال رب العزة جل جلاله ممتناً على هذه الأمة ببعثه السراج المنير ﴿**لَقَدْ جاءَكُم رَسولٌ من أنفُسِكُم عزيزٌ علَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَريصٌ علَيْكُم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ**﴾[1] وقد استجاب الله دعاءه فمنع عنهم الهلاك بتسليط الأعداء، او اهلاكهم بسبب القحط والجدب، ولكنه اخبره بأن صيحة الفناء، والدمار سيأتيهم من أنفسهم حيث يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً، وهذا ما ظهرت بعض آثاره في هذا الزمان، وإنا لله وإنا إليه راجعون!

★ ★ ★

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

«اخبار الأرض»

الحديث الثلاثون:

عن أبي هُرَيْرة رضيَ اللهُ عنهُ أنّ رسولَ الله ﷺ قرَأ الآيةَ الكريمة:

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أخْبَارَها﴾[1].. ثُمَّ قالَ: «أتدرونَ ما أخْبارُها؟ قالوا اللهُ ورسُولُهُ أعْلَمُ، قالَ: أخبارُها أن تشْهَدَ على كُلِّ عبْدٍ أو أمة بما عَمِلَ على ظَهْرِها تَقُولُ: عمِلْتَ في يَوْمِ (كذا) (كذا وكذا) فهذه أخبارها..»

«رواه الترمذي»

الأبحاث العربية:

تحدِّثُ أخبارها: أي تنبيء عمّا وقع على ظهرها من خير أو شرّ، ومن صالح او طالح.. والأخبار جمع خبر، وهو الحدث، او الامر الذي يقع من الانسان او عليه، سواء كان خيراً او شراً قال الشاعر:

«بينـــا يُـــرى الإنســـان فيهـــا مخبراً
فـــإذا بـــه خبر مـــن الأخبـــارِ»

عبد أو أمة: المراد به الذكر والأنثى، وليس المراد بالعبد المملوك الذي يقابل الحرّ، ولا بالأمة المملوكة التي تقابل الحرّة.

الأبحاث النحوية:

(قرأ يومئذ): قرأ فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر يعود على الرسول، وجملة

---

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٤.

(يومئذٍ تحدّث اخبارها) كلمة قصد لفظها في محل نصب مفعول به لـ (قرأ) أي قرأ هذه الآية. (أتدرون ما أخبارها؟) الهمزة للاستفهام و (تدرون) مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم و (الواو) فاعل، و (ما) استفهامية في محل رفع مبتدأ، و (أخبارها) خبر المبتدأ، وجملة (ما أخبارها) مفعول به لفعل تدرون.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (يومئذ) التنوين يسمى تنوين العوض، وهو هنا عوض عن كلمة وهي لفظ (القيامة) أي يوم القيامة فهو هنا مجاز بالحذف ويسمى مجازاً مرسلاً مثل **﴿واسأل القريةَ﴾**[1] أي أهل القرية.

٢ ـ قوله (أتدرون ما أخبارها؟) جملة انشائية استفهامية وقد خرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر وهو (التشويق) والترغيب لمعرفة ما يُلقى على الإنسان وفي هذا الأسلوب إثارة لانتباه السامع.

٣ ـ قوله (كذا وكذا) فيه كناية لطيفة فقد كنّى عن الأمر الذي فعله الإنسان في الدنيا بهذه الكناية (كذا وكذا) ومثله قوله: (عملت في يوم كذا) اي في اليوم الفلاني، فهو كناية أيضاً..

الشرح الأدبي:

هذه الارض كم شهدت على ظهرها من ظلم.. وكم مرّ عليها من أحداث.. وكم تتابعت عليها المشاهد والصور.. من صالح او طالح، ومن خير أو شر.. ثم نسي أهلها ما صنعوا عليها ولكنها بقيت محتفظة بكل ما وقع فوق ظهرها، وسوف تحدّث بأعمال الناس يوم القيامة **﴿يَوْمَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خيرٍ مُحضراً، وما عمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لوْ أنّ بينَهَا وبيْنَهُ أمداً بعيداً﴾**[2]. وسوف تشهد في ذلك

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

اليوم الرهيب على كل انسان بما جنته يداه!.. عجيب امر هذا الإنسان وغريب شأنه، يظن انه ان فعل المنكر خفية، او اتى بالقبيح مستتراً، بعيداً عن الناس وبعيداً عن نظراتهم الجارحة فقد نجا من العذاب، وأفلت من الملامة.. وما يدري المسكين أنّ المكان الذي ارتكب فيه المعصية سيشهد عليه، وانّ الأرض التي مشى عليها ووطئها بقدميه ستشهد على عمله وتخبر بما فعل في تلك اللحظات التي كان غافلاً فيها عن ربه، والتي قاده اليها الشيطان، فهذا هو رسول الله، الصادق المصدوق، الذي لا يقول إلا حقاً، ولا يتكلم إلا صدقاً يخبر عن تلك الحقيقة التي نسيها الإنسان، وهي ان المكان والزمان، وان الاشهر والأيام، سوف تكون شاهدة على عمل الانسان يوم القيامة، وليس هذا بمستحيل على قدرة الله عز وجلّ، فالذي انطق الانسان سوف ينطق الجماد والنبات وينطق الحواس والاعضاء وصدق الله ﴿**اليَوْمَ نَخْتِمُ علَى افواهِهِمْ وتُكَلِّمُنا أيديهم وتَشْهَدُ أرْجُلُهُمْ بما كانُوا يكْسَبونَ**﴾[1] فرسول الله صلوات الله عليه قرأ يوماً من الأيام هذه السورة الكريمة حتى وصل إلى قوله ﴿**يومئذ تحدّث أخبارها**﴾[2] فسأل اصحابه الكرام سؤال المنبّه المشير إلى قدرة الله «أتدرون ما أخبارها»؟ وردّ عليه اصحابه ردّ أدب ووقار فقالوا: «الله ورسوله أعلم،» وهنا يبين لهم صلوات الله عليه تلك الحقيقة التي ينبغي ان يضعها الانسان نصب عينيه، وهي ان الانسان لن يضيع من عمله شيء، فالارض تشهد بما صنع،، والطبيعة تنطق بما عمل، وسيكون الجزاء على قدر العمل.

فما أحق ذلك المغرور الجاهل، الذي يعمل الشر بعيداً عن الناس، ظناً منه انه سيفلت من عذاب الله وينجو من حسابه؟

★ ★ ★

(١) سورة يس، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٤.

«حقيقة الحياء»

الحديث الواحد والثلاثون:

عَنْ أبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ أنّ رسول الله ﷺ قالَ:

« استَحيُوا من اللهِ حقَّ الحياءِ، قالُوا: إنّا لَنَسْتَحي من الله والحمدُ للهِ! قالَ: ليْسَ ذَاكَ، مَنْ استَحْيا من اللهِ حقَّ الحياءِ فلْيَحْفَظ الرَّأسَ وما وعى، ولْيَحْفَظْ البطْنَ وما حَوىَ، ولْيَذكرْ الموتَ والبَلى، ومن أرادَ الآخرة تركَ زينةَ الحياةِ الدُّنيا. مَنْ فعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحيا من اللهِ حقَّ الحياءِ »

« رواه الترمذي »

الأبحاث العربية:

استحيوا: الحياء هو انقباض النفس عن إتيان امر مخافة الذم، وهو نوعان: حياء ممدوح، وحياء مذموم... فالممدوح مثل ان يترك القبيح حياءً من الله، والمذموم مثل ان يترك المطالبة بحقوقه، أو يترك السؤال في امور دينه وفي حديث عائشة: « رحم الله نساء الأنصار ما منعهن الحياء ان يتفقّهن في الدين ». قال الله تعالى ﴿**والله لا يَسْتحي مِنَ الحقِّ**﴾ (١).

(الرأس وما وعى: المراد ما حواه الرأس وما اجتمع فيه من البصر، والسمع، والكلام، فلا يسمع الى فحش ولا يتكلم بهُجر، ولا ينظر إلى محرم، قال

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

تعالى: ﴿إنّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ كلُّ اولئك كانَ عنهُ مسئولاً﴾ (١).

(البطن وما حوى: المراد يحفظ نفسه من أكل الحرام ويحفظ فرجه من الفاحشة والزنى، لأنّ البطن يحوي شهوة الطعام، وشهوة الجنس قال تعالى ﴿والّذينَ هُم لِفُروجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٢).

(البِلَى): بكسر الباء وفتح اللام بمعنى الفناء والهلاك.

(زينة الدنيا): المراد زخرفها وبهرجها الخادع الذي يفتتن به كثير من الناس قال تعالى: ﴿وَلا تمدّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بهِ أزوَاجاً مِنْهُم زَهْرَةَ الحياةِ الدّنيا لِنَفْتِنَهُم فيهِ، وَرِزْقُ رَبّكَ خَيْرٌ وأبْقَى﴾ (٣).

الأبحاث النحوية:

(استحيوا): فعل امر و (الواو) فاعل، والجار والمجرور (من الله) متعلق باستحيوا، (حقّ) مفعول مطلق و (الحياء) مضاف اليه. (ليس ذاك) ليس ناقصة من اخوات (كان) و (ذاك) اسمها، والخبر محذوف تقديره: ليس ذاكَ الحياءَ المطلوب.

(فليحفظ): الفاء واقعة في جواب الشرط، و (اللام) لام الأمر، و (يحفظ) مضارع مجزوم بلام الأمر، و (الرأس): مفعول به و (ما) اسم موصول بمعنى الذي معطوف على الرأس، (وعى): فعل ماضٍ والفاعل ضمير يعود على الرأس.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ (استحيوا من الله): هذا الأمر خرج عن صيغته الأصلية إلى (الإرشاد) وهو من قسم الإنشاء.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣١.

٢ ـ (ليس ذاك): لفظ (ذاك) كناية عن الشيء المذكور سابقاً اي ليس الحياء الذي تعدونه بذلك (الحياء الحقيقي) الذي ينبغي ان تكونوا عليه فهو (كناية) عن صفة.

٣ ـ (الرأس وما وعى، والبطن وما حوى..) الخ فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بـ (السجع) وهو من قسم (السجع المرصّع) لاتفاق الحروف في الوزن والتقفية.

٤ ـ (ومن أراد الآخرة) أي نعيم الآخرة وسعادة الآخرة فهو على حذف مضاف مثل قوله تعالى ﴿**واسأل القريةَ**﴾[1] أي اهلها وهو من نوع (المجاز المرسل).

٥ ـ (أراد الآخرة) (ترك زينة الدنيا) بين هاتين الجملتين من المحسنات البديعية ما يسمى (المقابلة) وهي كما تقدم ان يؤتى بمعنيين، او معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابلها على الترتيب فإن لفظ (أراد) يقابلها (ترك) ولفظ (الآخرة) يقابلها (الدنيا).

الشرح الأدبي:

في هذا الحديث الشريف قبس من أقباس النبوة، وشعلة من شعل الايمان، يرشدنا اليها نبي الهدى والرحمة، لنجعلها نبراسا لنا في الحياة، يضيء امامنا الطريق، ويأخذ بأيدينا الى معارج العز والسعادة.. فلا خير في الانسان اذا تعرى عن الفضائل، ولا قيمه له اذا فقد الحياء والأخلاق، فالأمم إنما تشاد بأخلاقها، والمجتمعات انما توزن بآدابها، وإذا لم يكن عند المرء خلق وأدب فلا خير فيه، وقديماً قال شاعرنا العربي:

« اذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاءُ »
« فلا والله ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا اذا ذهب الحياءُ »
« يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاءُ »

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

فالرسول صلوات الله عليه يدعو أصحابه في هذا الحديث الشريف الى التخلق بخلق الحياء الكريم الذي هو من صفات (المؤمن الكامل) ويرشدهم الى حقيقة معنى الحياء. الحياء الذي يحبه الله تعالى ويريده لعباده.. الحياء الصادق الذي يعصم صاحبه من الانحراف، ويجنبه من التردي في مهاوي الزيغ والضلال.. فيقول صلوات الله عليه:

«استحيوا من الله حق الحياء.» فليس المقصود هو مجرد التظاهر بالحياء، او التخلق به بالشكل الذي تعارف عليه الناس، بل الغرض ان يعرف المؤمن (حقيقة) معنى الحياء، المنبعث من جوهر الايمان. فالحياء الحقيقي هو الذي يسمو بصاحبه نحو الكمال، ويرتفع به عن حضيض المعاصي الذي انغمس فيه كثير من الناس، حيث ساروا مع شهواتهم واهوائهم، ولم يصونوا جوارحهم وأعضاءهم.. ولذلك فقد نبه عليه الصلاة والسلام الى هذا المعنى الدقيق حين قال «من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبِلى».

نعم هذا هو الحياء الحقيقي الذي يدعو اليه نبي الاسلام، وهو ان يحفظ الانسان حواسه، يحفظ سمعه وبصره ولسانه، فلا يسمع الى فحش او هجر، ولا ينظر الى محرم او شهوة، ولا يتكلم بقبيح او منكر، وكذلك يحفظ بطنه فلا يدخل اليه حراماً، ويحفظ فرجه فلا يرتكب فاحشة او يلوّث شرفاً، ويحفظ يديه ورجليه وسائر اعضائه وحواسه فلا يمشي الى رجس، ولا يشهد زوراً، ولا يعتدي على انسان، وهكذا يكون قد تحقق بمعنى الحياء، وتخلق بذلك الخلق الكريم الطاهر، الذي كان من خلق الرسول العظيم.. ولقد صدق عليه الصلاة والسلام حين قال: «إنّ مما ادرك الناس من كلام النبوة الأولى: اذا لم تستح فاصنع ما شئت»..

★ ★ ★

«مكانة المجاهد في الاسلام»

الحديث الثاني والثلاثون:

عنْ أبي هُريرَة رضيَ اللهُ عنهُ، عن النبي ﷺ انهُ قال:

« تضمّن اللهُ لِمنْ خرَجَ في سبيلِه، لا يُخْرجُه الا جهادٌ في سَبيلي، وايمانٌ بي، وتصْديقٌ بِرُسُلي، فهو ضامنٌ أنْ أُدْخِلَهُ الجنَّة، أو أُرجِعَهُ إلى منزلِهِ الذي خرجَ منهُ نائلاً ما نالَ من أجرٍ أو غنيمةٍ، والّذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، ما مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيلِ الله إلا جاءَ يومَ القيامةِ كهَيْئَتِهِ يَوْم كُلِمَ.. لَوْنُهُ لونُ دمٍ، وريحُهُ ريحُ مسكٍ، والّذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لوْلا انْ يشُقّ على المسلمينَ ما قَعَدْتُ خِلاف سَرِيَّةٍ تغزُو في سبيلِ الله أبداً، ولكنْ لا أجِدُ سعَةً فاحْملُهم، ولا يَجدونَ سعةً ويشُقُّ عليهم ان يتخلّفُوا عنّي، والّذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لودِدْتُ ان اغزُوَ في سبيلِ الله فأُقْتَلَ، ثم أغزو فأُقتل ثم أغزُو فأُقتَل ».

« رواه مسلم »

الأبحاث العربية:

تضمّن: أي تكفّل: على سبيل الايجاب على النفس تفضلا وكرماً.

إيمان بي: الايمان هو: اعتقاد بالقلب، وتصديق باللسان، وعمل بالجوارح وأصل الايمان (الاعتقاد) و (التصديق) الجازم الذي لا يخالطه شك او ارتياب.

وتصديق برسلي: اي اعتقاد بصدق الرسل الكرام، وفيه دليل على ان الايمان كل لا يتجزأ فلا يصح الايمان ببعض الاجزاء وانكار بعضها الآخر

كالايمان بالله وتكذيب الرسل.

نفس محمد بيده: هذا قسم بالذات المقدسة، ذات الباري تبارك وتعالى لأنّ نفوس جميع الخلائق بيده، فهو المتصرّف فيها بالاحياء والإماتة، والخلق والايجاد.

كَلْم: أي جرح ومعنى يُكلم اي يجرح، والمراد ما من جرحٍ يجرح في سبيل الله الا جاء يوم القيامة على هيئته، لونه كلون الدم وريحه كريح المسك.

أجر او غنيمة: الاجر ثواب الآخرة، والغنيمة ما يربحه المجاهدون من اعدائهم.

يَشُقُّ: أي يصعب عليهم قال تعالى ﴿**وما اريد انْ أشقّ عليك**﴾[1] وفي الحديث: «لولا ان اشقّ على امتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة».

خلاف سرية: أي ما تركت الخروج في سبيل الله مطلقاً بل كنت اخرج في كل غزوة ومع كل جماعة تجاهد في سبيل الله، والسريّة: الكتيبة من الجيش.

سعة: المراد لا أجد قدرة، ولا اجد مالا يكفي لتجهيزهم للجهاد في سبيل الله.

الابحاث النحوية:

(إلاّ جهاد): إلا اداة حصر، و(جهاد): فاعل مؤخر ليخرجه وروى بالنصب (إلا جهادا) فيكون مفعولاً لأجله اي لا يخرج إلا من أجل الجهاد في سبيل الله.

(ان ادخله): ان وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به (لضامنٌ) لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٧.

(نائلا): حال منصوب وقوله (ما نال) (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (لنائل).

(كلم يكلم): كلم مجرورة بمن وجملة (يكلم) من الفعل ونائب والفاعل في محل جر صفة ليكلم.

(أن يتخلفوا): أنْ وما بعدها في تأويل مصدر فاعل ليشق أي يشق عليهم تخلفهم عني.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ (تضمن الله لمن خرج في سبيله الخ) جملة خبرية يقصد منها (التشويق وتحريك الهمة) إلى الجهاد في سبيل الله. (لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي الخ..) جملة معترضة لبيان ان الجهاد لا يكون مقبولاً عند الله إلا إذا كان الغرض منه اعلاء كلمة الله.

٢ ـ (إلا جاء كهيئته يوم كلم) فيه تشبيه يسمى (مرسلاً مفصلاً) وقد تقدم معك أمثلته.

٣ ـ (لونه لون دم) و(ريحه ريح مسك) في كلٍ من الجملتين تشبيه يسمي (التشبيه البليغ) وأصله لونه كلون الدم في الصورة، وريحه كريح المسك في الطيب فحذفت منهما اداة الشبه ووجه الشبه فأصبح تمثيلاً بليغاً.

الشرح الأدبي:

بهذه الصورة الرائعة يصوّر الرسول الكريم اجر الغازي والمجاهد في سبيل الله، ذلك الإنسان الذي ضحّى بنفسه وماله في سبيل رفعة شأن الدين وإعزاز كلمة الله، وأيّ أجر أعظم بل أية منزلة أسمى من تلك المنزلة الرفيعة التي خصّ الله عز وجل بها المجاهدين في سبيله؟ حين قال عنهم ﴿**ولا تحْسَبَنَّ الذينَ قُتلوُا في سبيلِ اللهِ أمْواتاً بَلْ أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرْزَقون★ فَرِحينَ بما آتاهُمُ الله من فَضلِهِ ويَسْتَبْشِرون**

بالذين لمْ يَلْحَقوا بِهم مِنْ خَلْفِهِم ألا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحْزَنُون﴾[1] انها الحياة الابدية السرمدية في جنان الخلد ودار النعيم، هي بعض ما اكرمهم الله عز وجل به، عدا ما أعد لهم من الذكر الحسن في الدنيا حيث تخلّد اسماؤهم في سجلّ الخالدين، فهم احياء حتى بعد مماتهم، ذكرهم على كل لسان، وحبُّهم في كل قلب، وهذا هو السر في نهينا عن القول في الشهداء بأنهم اموات، لأن الله عز وجل خلّد ذكرهم، ويكفي ذلك شرفاً وفخراً لهم.. وقد بيّن هذا الحديث النبوي الشريف ان الله عز وجل قد تكفل بالجنة لمن جاهد في سبيل الله، مخلصاً عمله لله، مؤمناً برسله، مصدّقاً بوعد الله تبارك وتعالى، وليس هذا الجزاء العظيم الا للمجاهد الذي يبتغي من وراء جهاده إعلاء كلمة الله، واعزاز شأن الدين، ولقد سئل الرسول ﷺ عن الرجل الذي يقاتل للشهرة ليعرف انه شجاع، او يقاتل للمغنم، او يقاتل حميّة لعشيرته فقال كلمته الرائعة المأثورة: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا فهو في سبيلِ اللهِ.. »..

وقد ختم عليه الصلاة والسلام حديثه بالقسم بأنه لولا ان يقع المسلمون في ضيق وحرج، ولولا المشقة التي ستلحق بالمؤمنين لما تخلّف عن الخروج في غزوة من الغزوات ابداً، ولكنه لشفقته ﷺ على امته ترك الخروج في بعض الغزوات..

ولقد تمنى صلوات الله وسلامه عليه ان يقتل في سبيل الله ثم تعود اليه الحياة فيجاهد ثم يقتل وهكذا لما يعرف من ثواب الشهادة في سبيل الله.. فأكرم به من قائد وزعيم وما اجمل كلمة الأديب التركي المسلم: (إذا لم تحترق انت، ولم احترق انا، فمن اين يخرج النور ؟؟)

اللهم اجعلنا ممن جاهد في سبيلك ابتغاء مرضاتك، انك سميع مجيب الدعاء، اللهم آمين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩، ١٧٠.

«حقيقة الإفلاس»

الحديث الثالث والثلاثون:

عن أبي هُرَيْرة رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ الله ﷺ انه قال:

«أتدْرونَ منْ المُفْلسُ؟ قالوا: المُفلِسُ فينا من لا دِرْهمَ لهُ ولا مَتاعَ، فقالَ ﷺ: إنّ المُفلسَ من أُمَّتي من يأتي يومُ القِيامةِ بصلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي وقدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمِ هذا، وضرَبَ هذا، فَيُعطي هذا مِنْ حسناتِهِ وهذا مِنْ حسَناتِه، فإن فَنيَتْ حسنَاتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضي ما عليهِ أُخِذَ مِنْ خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليهِ ثُمَّ طُرِحَ في النّارِ»

«رواه مسلم»

الأبحاث العربية:

أتدرون من المفلس: يقال: أفلس الرجل إذا فقد ما يملك من مالٍ او متاع وقد شاع استعمال الإفلاس في النواحي المادية يقال:ضرب الإفلاس عليه أطنابه، والرسول ﷺ اشار الى الإفلاس من الحسنات والإفلاس من الخير، واعتبره هو الإفلاس الحقيقي فهناك مفلس من المال، ومفلس من الحسنات.

سفك دم هذا: اي اراق دمه وقتله بدون حق، وقد جاء في الحديث: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث» الحديث.

وقذف هذا: اي شتمه ورماه بالفاحشة اي الزنى، وأصل القذف الرمي بالحصى او الحجر، ثم توسع فيه، فأصبح الرمي باللسان وبالكلام يسمى

(قذفاً) تشبيهاً له بمن يرمي الحجارة، او الشيء الصلب بيده قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات.. وعد منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات» اي رميهنّ بالزنى.

فنيت حسناته: اي نفذت ولم يبق منها شيء والمراد ان الغرماء اصحاب الحقوق اخذوا من حسناته يوم القيامة بدل حقوقهم التي لهم عليه.

يقضي ما عليه: اي يوفي ما عليه من حقوق للناس في ذمته.

طرحت عليه: اي اخذت ذنوب المظلوم فجعلت على الظالم اي في كفة سيئاته، وفي الحديث الشريف: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منه اليوم قبل ان لا يكون درهم ولا دينار..» الحديث.

الابحاث البلاغية:

(أتدرون من المفلس؟): جملة إنشائية من القسم (الطلبي) والاستفهام في هذه الجملة جاء (بالهمزة) وهي تدل هنا على التصديق لأنه اريد بها النسبة وقد خرج الاستفهام عن صيغته ومعناه الاصلي (وهو طلب العلم بمجهول) الى غرض آخر وهو (التشويق الى معرفة الشيء) فهذا مثل قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَدُلُّكُم عَلَى تِجارةٍ تُنْجيكُم مِن عذابٍ أليمٍ ؟**﴾[1] استفهام غرضه التشويق.

(المفلس فينا...) الخ جملة خبرية من النوع (الابتدائي) لعدم وجود المؤكد والغرض منها (فائدة الخبر).

(إن المفلس من أمتي) جملة خبرية من النوع (الطلبي) لوجود المؤكد وهو (إنّ) والمراد بها (فائدة الخبر).

(وقد شتّم هذا) لفظ (هذا) هنا وفيما بعده (كناية) عن الشخص المشتوم فهو (كناية عن موصوف).

---

(١) سورة الصف، الآية: ١٠.

(وطرحت عليه) فيه استعارة (تصريحية تبعية) وطريق إجراء هذه الاستعارة ان يقال شبهت الخطايا والسيئات بشيء ثقيل كالحمل الذي تحمله الدابة مثلاً بجامع التعب والمشقة التي تعتري الحامل ثم استعير لفظ (الطرح) للحمل الثقيل واشتق منه (طرح) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فكأن الذنوب تطرح عن ظهر المظلوم الى ظهر الظالم فتزداد اثقاله وآصاره ثم يطرح في جهنم.

الأبحاث النحوية:

(أتدرون من المفلس): الهمزة للاستفهام، و (تدرون) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل. (من المفلس) من: اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم (والمفلس) مبتدأ مؤخر، والجملة من المبتدأ والخبر مفعول به لـ (تدرون) وإنما تقدّم الخبر لأن أسماء الاستفهام لها الصدارة والأصل (المفلس من هو؟).

(قالوا: المفلس فينا من لا درهم له) جملة (المفلس فينا) مقول القول وإعراب هذه الجملة ان نقول: (المفلس) مبتدأ و (فينا) جار ومجرور متعلق بالمفلس لأنه اسم فاعل، (من) اسم موصول بمعنى الذي في محل رفع خبر المفلس (لا درهم) ولا نافية للجنس تعمل عمل إن (درهم) اسمها والجار والمجرور (له) هو الخبر اي لا درهم موجود عنده. (وقد شتم هذا) الواو واو الحال. والجملة في محل نصب على الحال.

الشرح الأدبي:

لم يترك رسول الهدى والرحمة طريقاً من طرق الخير إلا دل أمته عليه، ولم يترك سبيلاً من سبل الشرّ إلا حذر امته منه، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وفي هذا الحديث النبوي الشريف يلفت الرسول الكريم انظار الصحابة رضوان الله عليهم الى امر عظيم هام، وإلى ناحية دقيقة، طالما غفل كثير من الناس عنها ولم يفطنوا لها تلك هي تصور مفهوم (الإفلاس) على حقيقته، فالناس يعتبرون المفلس من لا يملك من المال شيئا او من فقد ثروته وماله، فهم يحصرون الإفلاس في المادة فحسب ويجعلونه قاصراً على الدرهم والدينار والمتاع، والرسول عليه الصلاة والسلام ينظر الى

الافلاس من زاوية اوسع لانه يهتم بالحقيقة دون الصورة، وبالواقع دون المظهر، فهو يخاطب أصحابه بأسلوب فيه إثارة الى البحث والتفكير، وفيه تنبيه لهم إلى ان يغوصوا الى اعماق الموضوع لتظهر لهم الحقيقة ناصعة جليّة، فليس المال والمتاع بالشيء المخيف، ولا بالأمر الخطير، ولكن الإفلاس الحقيقي هو امور تضيع في الدين، وفي الاعمال الصالحة، وفي الحسنات التي تقرّب العبد من ربه وتجعله سعيداً في آخرته ودنياه هذا هو الشيء الخطير.. فكم من أناس ملكوا الدنيا، وكدّسوا الثروات الضخمة، وعاشوا في هذه الحياة مترفين، ولكنه كانوا تعساء لأنهم أناس مفلسون، قد ذهبت حسناتهم، وتلاشت خيراتهم، وذهبت إلى اولئك المظلومين الذين اعتدي عليهم.

وهكذا يمضي عليه الصلاة والسلام في بيان حقيقة المفلس الذي ينبغي ان نرثي لحاله فيقول: «ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا...» الخ. أليس هذا ممّا يدعو الى الحسرة والاشفاق ان يجمع الانسان الحسنات ثم يأتي يوم القيامة وقد ذهبت لخصومه ولم يبق له منها إلا سيئات خصومه الذين ظلمهم في الدنيا فتطرح عليه ثم تكون نهايته صقَر...

اللهم جنّبنا السوء والفحشاء واجعلنا من عبادك الصالحين.

★ ★ ★

«الجنة تحت ظلال السيوف»

الحديث الرابع والثلاثون:

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ أبي أوفى رضيَ اللهُ عنهُما أنّ النبيَّ ﷺ قالَ:

« يا أيُّها النَّاسُ لا تَتمنَّوا لِقاءَ العَدُوِّ، واسْألُوا اللهَ العَافيةَ فإذا لقِيتمُوهُم فاصْبِروا واعْلمُوا انَّ الجنَّةَ تحتَ ظِلالِ السُّيوفِ، ثُمَّ قالَ النبيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ مُنْزلَ الكِتابِ ومُجري السَّحابِ، وهَازِمَ الأحزابِ، اهْزِمْهُم وانْصُرْنا علَيْهِمْ ».

« رواه الشيخان »

الأبحاث العربية:

لا تتمنّوا لقاء العدو: أي لا تطلبوا لقاء العدو ولا تشتهوه، وأصل التمني هو: طلب الشيء المحبوب قال تعالى ﴿**وَلا تتمَنَّوا ما فضَّلَ اللهُ بهِ بعْضَكُم علىَ بعضٍ**﴾[1] الآية وفي الحديث الشريف: « ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل ».

اسألوا الله العافية: أي اطلبوا من الله السلامة، وأصل العافية السلامة من جميع ما يؤذي ويسوء من امور الدنيا أو الآخرة وقد اوصى النبي ﷺ عمّه العباس ان يطلب العافية من الله وعلّل له ذلك بقوله: « سل الله العافية فانك إن اعطيتها فقد اعطيت خيري الدنيا والآخرة ».
« اللهم إنا نسألك العفو والعافية وحسن الختام ».

مجري السحاب: مسيّر السجاب من جهة إلى جهة ومن بلد الى بلد قال تعالى ﴿**ألَمْ**

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

﴿ترَ انّ الله يُزْجي سَحاباً ثم يؤلّفُ بينَهُ ثمّ يجعَلُهُ رُكاماً فترى الوَدْقَ يخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ (١).

هازم الأحزاب: المراد بالاحزاب هم ائمة الضلال الذين اجتمعوا وتحزّبوا لقتال النبي ﷺ وقد اشتهرت تلك الغزوة باسم (غزوة الاحزاب) قال تعالى ﴿ولَمّا رأى المؤمِنُونَ الأحْزَابَ قَالُوا هذا مَا وَعدَنا اللهُ ورسُولُه وصَدقَ اللهُ ورسُولُهُ ومَا زادَهُم إلاّ إيماناً وتَسْلِيماً﴾ (٢) وقد هزمهم الله ونصر عباده المؤمنين ورفع راية الدين وجعل كلمة الذين كفروا السفلى.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ الجنة تحت ظلال السيوف: قال القرطبي: هذا من الكلام النفيس البديع الذي جمع ضروب البلاغة من جزالة اللفظ، وعذوبته وحسن استعارته، وشمول المعاني الكثيرة مع الألفاظ الوجيزة بحيث تعجز الفصحاء اللسن والبلغاء المصاقع عن الإتيان بنظيره وشكله فإنه استفيد منه مع وجازته الحضّ على الجهاد والإخبار عن ثوابه الى ان قال: وهذا كما جاء في الحديث الشريف: «الجنة تحت اقدام الأمهات» انتهى.

ففي التعبير استعارة تصريحيّة فالمجاهد في سبيل الله يدخل الجنة بسبب جهاده وصبره على لقاء العدو وضربه بالسيف حتى كأنّ السيوف أصبح لها ـ من كثرتها ـ ظلال تظل الضاربين بها.

«في ظلال السيوف جنة ربي والمعالي في رؤوس العوالي»

٢ ـ منزل الكتاب، مجري السحاب، هازم الأحزاب: فيه من علم البديع ما يسمى (بالسجع المرصع) وهو ما اتفقت فيه اكثر الفقرات في الوزن والتقفية، ولا يستحسن السجع إلا إذا جاء عفواً.

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

ترجمة راوي الحديث:

عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي ويكنى (أبا ابراهيم) واسم ابيه (علقمة بن خالد) وهو من هوازن شهد الحديبية وكان ممن بايع بيعة الرضوان، نزل الكوفة بعد وفاة رسول الله ﷺ وكان آخر من مات بها من الصحابة سنة ٨٧ هـ وكان قد شهد حنيناً، روي عنه أنه قال:

« غزوت مع النبي ﷺ ست غزوات نأكل فيها الجراد »... وقد توفي بعد ان ذهب بصره، وقد اصابته ضربة في يده من المشركين، روي عن اسماعيل بن ابي خالد انه قال: « رأيت على ساعد عبد الله بن أبي أوفى ضربة فقلت ما هذه؟ فقال ضربتها يوم حنين » رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مسكنه ومأواه آمين.

الشرح الأدبي:

الجهاد في سبيل الله شعار هذا الدين، وعز هذه الأمة وحصنها المتين، فما تركت أمة الجهاد في سبيل الله إلا ذلت وهانت، ولهذا كان الجهاد في شرعة الإسلام فريضة لازمة لا بد منه لنيل العزة، وكان ذروة أعمال الاسلام وقد جاء في الحديث الشريف: « من مات ولم يغز ولم يحدّث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية » والغرض من الجهاد إعلاء كلمة الله، ونشر المبادىء الانسانية الكريمة التي جاءت بها الشرائع السماوية، ودفع كيد المعتدين ولهذا امر الله جل ثناؤه بالجهاد وحضّ عليه ووضح الغرض منه، فقال عز من قائل: ﴿ **والّذينَ آمنُوا يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللهِ والّذين كفَرُوا يُقاتِلونَ في سَبيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتَلُوا أوْلِياءَ الشَّيْطانِ إنّ كيدَ الشَّيْطانِ كانَ ضعيفاً** ﴾[1].

ومع ان الجهاد فريضة مقدسة من اجل إعزاز الدين ورفع مناره ومع ذلك فقد جاءت السنة النبوية المطهرة تنهي عن تمني لقاء العدو، وتأمر بالصبر عند احتدام المعركة، فالأصل في المسلم ان يطلب السلامة والمعافاة، وألا يتعرض للبلاء والفتنة، ولكنه حينما لا يكون مناص من القتال والحرب فلا بد له من الصبر وعدم الفرار من

(١) سورة النساء، الآية٧٦.

ساحة الشرف، ومن ميدان الكفاح والنضال كما أشارت الآية الكريمة وهي قوله تعالى: **﴿يا أيُّها الّذينَ آمنُوا إذا لَقِيتُم فِئَةً فاثْبُتُوا واذْكُروا الله كثيراً لعلّكُم تُفْلِحونَ﴾** [1] وقال تعالى **﴿يا ايُّها الّذينَ آمنوا إذا لَقيتُم الّذينَ كفَرُوا زَحْفاً فَلا تولّوهُم الأدبار ★ ومنْ يُولِّهِمْ يوْمئِذٍ دُبُرَهُ إلا مُتَحَرِّفاً لقِتالٍ أو متحيِّزاً إلى فِئَةٍ فقَدْ باءَ بغضبٍ من الله ومأواهُ جَهنَّمَ وبئسَ المصيرِ﴾** [2]. فلا بد من الصبر عند تعانق السيوف والتحام الصفوف، ولا بد من توطين النفس على تحمّل المكاره، فإن الجنةَ لا تنال إلا بالصبر عند الشدائد وبتحمل الأذى في سبيل الله، والله تعالى قد وضح هذا المعنى بقوله: **﴿أمْ حَسِبْتُم أنْ تَدْخُلُوا الجنَّةَ ولما يَعْلمِ اللهُ الّذينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ ويعْلم الصّابرينَ﴾** [3].

وقد دعا الرسول الكريم بأن ينصره الله على أعداء الدين فقال:

«اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم» فلا بد إذاً من الاستعداد ثم اللجوء الى الله وطلب النصرة منه **﴿ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ منْ يَنْصُرُهُ، إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزيزٌ﴾** [4].

★ ★ ★

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٤) سورة الحج، الآية: ٤٠.

مختارات من أحاديث سيد المرسلين

زيارة اهل الصلاح

« عن انس رضي الله عنه ان ابا بكر الصديق قال لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ص: « انطلق بنا الى أم أيمن (ر) نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهيا اليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ اما تعلمين انّ ما عند الله خير لرسول الله ﷺ؟ فقالت: إني لا ابكي أني لا أعلم أنّ ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ، ولكن ابكي ان الوحي قد انقطع من السماء، فهيّجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها ».

« رواه مسلم »

سماع القرآن الكريم:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال: قال لي النبي ﷺ:

« إقرأ عليّ القرآن، قلت يا رسول الله: عليك أقرأ، وعليك نزل؟ قال: فإني احب ان أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء، حتى جئت الى هذه الآية **﴿فَكَيْفَ إذا جئْنا مِنْ كُلِّ أمَّةٍ بشهيدٍ وجئْنا بكَ على هؤلاء شهيداً ★ يوْمَئِذٍ يودُّ الذينَ كفرُوا وعَصوا الرّسولَ لوْ تسوَّى بهمُ الارضُ ولاَ يكْتُمُونَ الله حديثاً﴾** [1] قال: حسبُك الآن فالتفتُّ فاذا عيناه تذرفان ».

« متفق عليه »

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٤١، ٤٢.

البكاء من خشية الله

« عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف انه قال: أتي أبي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بطعام ـ وكان صائماً ـ فقال: قتل (مصعب بنُ عمير) رضي الله عنه وهو خيرٌ مني، فلم يوجد له ما يكفنُ فيه إلا بُردةٌ إنْ غطّي بها رأسُه بدت رجلاه، وإن غطّي بها رجلاه بدا رأسه.. ثم بسط لنا من الدنيا ما بُسط، قد خشينا ان تكون حسناتنا عجّلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام ».

« رواه البخاري »

الاقتصاد في الطاعة:

عن أبي وهب بن عبد الله رضي الله عنه انه قال:« آخى النبي ﷺ بين (سلمان) و (ابي الدرداء) فرأى ام الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك ابو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء ابو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له كل فإني صائم، قال (يعني سلمان): ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل رضي الله عنه، فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعاً، فقال له سلمان: « إن لربك عليك حقاً، وإنّ لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حقٍ حقه » فأتى أبو الدرداء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ صدق سلمان ».

« متبذلة: اي تلبس ثياباً بالية التي لا تلبسها عادة المرأة المتزوجة ».

« رواه البخاري »

الاسلام دين اليسر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

« إن هذا الدين يسر، ولن يشادّ الدينَ احدٌ إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغَدوةِ والروحة، وشيءٍ من الدُّلجة »

« رواه البخاري »

(الغدوة): السير من اول النهار، (الروحة): السير من آخر النهار، (الدلجة) آخر الليل، وهذا الحديث فيه مجاز وتمثيل معناه استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال الصالحة والعبادات التي تقربكم من الله في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تستلذّون بالعبادة ولا تسأمونها وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الاوقات ويستريح هو ودابته في غيرها فيصل المقصود من عير تعبٍ ولا نصبٍ، فعليكم بطاعة الله في وقت النشاط بدون تشديد على النفس ولا إرهاق لها. «انظر كتاب دليل الفالحين».

الدعوة الى الله

عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ اجور منْ تبعه، لا ينقص ذلكَ من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلكَ من آثامهم شيئاً».

«رواه مسلم»

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داودَ وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً ثم قال: لا، والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحقّ أطراً».

معنى تأطروهم: أي تحملوهم وتجبروهم على قبول الحق والإذعان له جبراً.

ردع الظالم

عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال:

« يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية الكريمة ﴿**يا أيُّها الّذين آمنوا عليكُم أنفُسَكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتَدَيْتُم**﴾[1] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمّهم الله بعقابٍ منه ».

« رواه ابو داود والنسائي والترمذي »

معنى الحديث الشريف ان الناس يخطئون في فهم هذه الآية الكريمة ويظنون ان الانسان لا يسأل عن عمل غيره وأنه لا يضرّه كفر الكافرين ولا (معصية) العاصين، مع ان الناس اذا تركوا واجب (النصح والارشاد) وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، استحقوا العذاب لأنهم قصروا في واجبهم فلا ينبغي للمسلم ان يتهاون في النصح والتذكير.

الاصلاح بين الناس

(عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أنّ بني عمر وبني عوف كان بينهم شرّ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه، فجلس رسول الله ﷺ وحانت الصلاة فجاء بلال الى أبي بكر رضي الله عنهما فقال: يا أبا بكر، إن رسول الله ﷺ قد حُبس وحانت الصلاة، فهل لك ان تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت، فأقام بلال الصلاة وتقدّم (أبو بكر) فكبّر وكبّر الناس وجاء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف حتى قام في الصف، فأخذ الناس في التصفيق وكان أبو بكر رضي الله عنه لا يلتفت في الصلاة، فلما اكثر الناس التصفيق التفت فإذا رسول

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ فرفع أبو بكر يده فحمد الله ورجع القهقرى وراءه، حتى قام في الصف فتقدم رسول الله ﷺ فصلى للناس، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: «يا ايها الناس مالكم حين نابكم شيء في الصلاة اخذتم في التصفيق؟ إنما التصفيق للنساء، من نابه شيء في صلاته فليقل: سبحان الله، فإنه لا يسمعه احد حين يقول سبحان الله إلا التفت، يا أبا بكر ما منعك ان تصلي بالناس حين أشرت اليك»؟ فقال ابو بكر: ما كان ينبغي لابن ابي قحافة أن يصلي بالناس بين يدي رسول الله ﷺ).

قوله حُبس: أي امسكوه ليضيفوه. (نابه شيء): أي اصابه شيء. (أبو قحافة): هو والد ابي بكر الصدّيق.

قوله التفت: أي برأسه لا بصدره فإن الالتفات بالصدر يفسد الصلاة لأنه لا يصير متجهاً إلى القبلة.

ظلمة القبور

(عن أبي هريرة رضي الله عنه ان امرأة سوداء كانت تقمّ المسجد ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها فقالوا: ماتت، فقال: أفلا كنتم آذنتموني بها، فكأنهم صغّروا امرها فقال: دلوني على قبرها، فدلوه فصلى عليها ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله تعالى ينوّرها لهم بصلاتي عليهم»).

«متفق عليه»

(تقمّ) تكنس وتنظّف، (آذنتموني): أخبرتموني واعلمتموني (بصلاتي عليهم): بدعائي لهم.

من جوامع الكلم»

- نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ.
- إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.
- اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.
- من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.
- البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديَّان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.
- ليس الايمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل.
- الناس معادن، كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فَقُهوا.
- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً.
- خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشرُّكم من طال عمره وساء عمله.
- ألا أدلكم على خير ما يكنز المرء، المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرّته، وإذا امرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه.